النّزعة الأسلوبية عند عبد السلام المسدي وتمثلاتها في النقد العربي: دراسة في كتاب " النقد والحداثة"

The Stylistic Tendency of Abd al-Salam al-Masadi and its Representations in Arab Criticism: A study in the book "Critique and Modernity"

ط.د زوليخة عالم[1*]، د. بن قويدر مختار[2]

[1]جامعة معسكر، (الجزائر)، alemzoulikha@ Univ-masacra.dz

2جامعة معسكر، (الجزائر)، Abourachedmokhtar@ gmail.com

مخبر مناهج النقد الأدبي المعاصر

تاريخ الإيداع: 2022/09/01 **تاريخ المراجعة**:2022/09/21 **تاريخ النشر**: 2022/11/30

ملخص:

حظيت المناهج النّقدية والأسلوبية منها خاصة بعناية الدّارسين؛ إذ يتصدرهم الناقد التونسي "عبد السلام المسدي" الذي تميزت أسلوبيته بالمرونة، وقد لمسنا ذلك من خلال مدوناته وكذا النقاد الذين نهلوا منها تنظيرا وتطبيقا. لذا ارتأينا في هذه الورقة البحثية رصد المرجعية الأسلوبية للناقد وأثرها في الدرس النقدي العربي، وقد دفعنا هذا إلى طرح عدد من التساؤلات: ما سمات الأسلوبية عند الناقد عبد السلام المسدي؟ وكيف جمع فيها بين الأصالة العربية والحداثة الغربية؟ وكيف استثمر النقد العربي جهوده في قراءة الأدب وتحليل الخطابات؟ ومن خلال المنهج الوصفي والتحليلي والنظر في جهوده النقدية، توصلنا إلى أنّ قراءاته تميّزت بالتجديد من خلال الجمع بين التأصيل التراثي العربي والنهل من الثقافة الغربية. وذلك للوصول إلى أسس منهجية أسلوبية كفيلة بسد الثغرات النقدية في النقد العربي.

الكلماتالمفتاحية: أسلوبية، نقد، تراث، حداثة، تحليل الخطاب.

Abstract:

Critical curricula, such as stylistics, have received a big scholors' attention; Led by tunisian critic Abdelsalam El Massadi, whose style has been characterized by flexibility. We saw this through his works, as well as the critics who benefited from them in theory and practice. So we decided in this paper to monitor the stylistic reference of the critic Al-Massadi and its impact on the Arab critical discipline. Thus, we will ask some questions: What are the stylistic characteristics of the critic Abdul Salam Al-Massadi? How did he combine Arab originality with Western modernity? How did Arab criticism invest the efforts of this critic in reading literature and analyzing discourses? Through the descriptive and analytical approach and consideration of his critical efforts, we concluded that his readings were characterized by renovation by combining Arab heritage rooting with Western culture in order to reach the foundations of a stylistic methodology that can bridge the critical gaps in Arab criticism.

Keywords:*stylistics; criticism; heritage; modernity; Discourse analysis*

* المؤلف المراسل .

تقديم:

النقد في جوهره هو تعبير مكتوب أو منطوق من لدن الناقد المتخصص، إذ يكون في مجال الأدب أو المسرح أو السينما وفي مختلف المجالات الأخرى، فيذكر الناقد فيه جوانب النقص أو الاستحسان معتمدا على تيارات ومناهج ومعايير نقدية تختلف باختلاف الظروف والعصور. ومن هؤلاء النقاد الذين ذاع صيتهم في الوطن العربي "عبد السلام المسدي"، وذلك من خلال الأعمال الأدبية والنقدية التي أثرى بها المكتبة العربية، ومنها في مجال الأسلوبية على الخصوص: "قراءات مع الشّابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون" "الأسلوبية والأسلوب" "النّقد والحداثة" "في آليات النقد الأدبي".

ومن الأسباب الدافعة للبحث في هذا الموضوع الرغبة في ممارسة نقد النقد من خلال طرح تساؤلات، ما علاقة الأسلوبية بالنقد؟ وكيف توصل الناقد التونسي"عبد السلام المسدي" إلى هذه الرؤية الأسلوبية؟ وكيف استثمر النقد العربي جهود هذا الناقد في قراءة الأدب وتحليل الخطابات؟

من خلال هذه الورقة البحثية، سنجيب على الأسئلة المطروحة آنفا متبعين منهج الوصف من خلال استقصاء الأسس النقدية الأسلوبية في مدونة عبد السلام المسدي، ثم المنهج التحليلي في استقراء وفهم هذه المعايير التي استوحاه الناقد من وسائل منطقية ولغوية وكيف يمكن استثمارها في نقد النصوص واستكناه الخطابات، ثمّ عرض بعض الملامح التي تبيّن حقيقة استفادة الدرس النقدي العربي من هذه الجهود الفذّة.

أولا: المرجعية اللسانية والأسلوبية في التفكير النقدي "عبد السلام المسدي"

الحس النقدي والرؤية عند المسدي:

قبل الخوض بالحديث في الرؤية الأسلوبية وجب البحث عن مكونات الرؤية النقدية للمسدي، وتلك الرؤية هي تصريح منه في مدوناته النقدية. وهذا ما كشفه بعض الدارسين السابقين لهذا البحث، فهناك من قال بإنّه جمع بين الرؤى اللسانية الحداثية الغربية والأصالة العربية والتراثية. فحين النظر في مدونة (الأدب وخطاب النقد) للمسدي نلحظ تعددية في المرجعية أو في مكونات الرؤية النقدية، و" بتتبعنا لمصدر الآراء المنبثقة عن نقله القضايا المختلفة وطبيعة هذه القضايا والسياقات المتنوعة لمصطلح النقد في الكتاب والأسماء المذكورة على هامش التحليل أو الاستدلال والاستشهاد، نكتشف تلك المرجعية اللسانية المخيمة، بل والمهيمنة من جهة، والحداثية من جهة أخرى.

كما يمكننا أيضاً أن نميّز الازدواجية إن صحّ التعبير في مرجعيته تلك. وتظهر هذه الازدواجية في جمعها بين ما هو عربي وما هو غربي، وبين ما هو تراثي وما هو حديث، وتتعدى ذلك أحيانا إلى الجمع بين ما هو عام وما هو خاص"1، وهي مرجعية أولا لسانية وتتّضح في قول المسدي: " إنّ الممارسة التطبيقية للتحليل الأسلوبي لا يمكن أن تؤتي ثمارها إلا إذا استندت في المنطلق إلى التكوين اللساني الدقيق"2، فهذه إشارة أنه يربط الأسلوبية باللسانيات.

ولا شك أن اللسانيات أصبحت في الساحة النقدية وفي جميع حقول البحوث الإنسانية مركز استقطاب بلا منازع، فأغلب تلك العلوم تستند في منهجيات بحثها وفي تقدير حصيلتها العلمية إلى اللسانيات، وإلى ما تنتجه من تقديرات علمية وطرائق ..."3. وقد أصبحت لها مكانة كبيرة؛ ف"اللسانيات اليوم مَوْكُولٌ لها مقْوَد الحركة

التأسيسية في المعرفة الإنسانية لا من حيث تأصيل المناهج وتنظير طرق إخصابها فحسب، ولكن أيضا من حيث أنها تعكف على دراسة اللسان، فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا"4.

وما يثبت العلاقة الثلاثية في خلاصة النقد بيته وبين الأسلوبية واللسانية من خلال نموذج المسدي، هو رأيه وطرحه في تفسير تلكم العلاقة: فحسبه أنّ "مجالنا العربي شهد من خلال الحقبة الماضية ظاهرة لطيفة ظلّ المهتمون يرصدونها بمواظبة تبوح بالثقة يوماً ويوماً تشي بالحذر- فمن خلال علم الأسلوب تسللت اللسانيات إلى النقد الأدبي. ومن خلال المنهج البنيوي أطلّ النقد على مقولات علم اللسان فاستعارها حتى كاد يتملكها. وامتزجت الرؤى فلم يبق من فيصل لمقاسة درجة التأثر بدرجة التأثير– بين هذا وذاك ذهاباً بين هذا وذاك إياباً– إلا مدى ما يعرف به الناقد من اختصاص في البحث والمعرفة أمن اللسانيات هو بدأ أم من النقد؟ "5.

كما أظهر "المسدي" دور النقاد في مجال علم الأسلوب، وذكر له روّاده من العرب الذين أثروا ساحته، ومنهم شكري محمد عياد، صلاح فضل، محمد الهادي الطرابلسي، محمد عبد المطلب، عبد الله صولة، إلاّ أنّه لم يسهب في تثبيت منجزاتهم. وهذه إشارة مقتضبة، ربما لوعي منه بأن بروزهم في هذا المجال كان على مستوى التقبل والتفاعل فقط دون الابتكار والإبداع"6، وبذلك يثبت المرجعية العربية لرؤيته النقدية الأسلوبية، لأن تلك المدونات منها ما استعمله مرتكزا للاستدلال كما يقول:"...نحن والآخر"7؟ أماّ المرجعية الثانية، فهي "مرجعية لسانية غربية". وتظهر تلك أكثر من خلال تنوع المؤلفات والأسماء الغربية عند الاستشهاد، وقد كانت المتكأ، ثمّ تنوعت وكان الاستشهاد بها واسعا في الكتاب، وسنحاول عرضها أو على الأقل بعضها للاستدلال بها نحن كذلك في ما نريد إبانته وتفسيره، ومنهم إدوار سابير، جاكبسون، ليفي شتراوس، ريفاتير، تودوروف..."8.

غير أنّ هذه الأسماء تثبت المرجعية العربية للنقاد العرب، كما لا تختصّ بالناقد المسدي فحسب. أما المرجعية الحداثية، فتظهر"فيما يطرحه من آراء وأفكار في القضايا النقدية المثارة في كتاب (الأدب وخطاب النقد)، والمصاحبة لمصطلح النقد، وهي دلائل وملامح عدة وتحصيل حاصل من جهة، وتأكيد على ذلك من جهة ثانية حتى ولو كان خفيّا. ومن تلك الدلائل والملامح والمؤشرات، ما انبرى المسدّي إلى الإدلاء به والإفصاح عنه خاصة في الفصلين التاسع والعاشر من الكتاب في أدبيات الغموض النقدي والاحتفاء الثقافي والعقل النقدي الغائب"9؛ إذ عرض آراء بعض النقاد كعز الدين إسماعيل، شكري محمد عياد، يوسف بكار أبو حمد.

ومن الذين تطرّقوا كذلك إلى المرجعية النقدية أو مكونات الرّؤية النقدية للمسدي، نجد "مرابطي نسيم" في بحثه الموسوم "مسار النظرية النقدية عند عبد السلام المسدي "يقول مرابطي نسيم: "عالج هذا الباحث أكثر المسائل النقدية من زاوية لسانية، فكان الوحيد الذي اقتحم ميدان النقد سالكاً في ذلك معبر الحقول اللسانية. ولا نقصد انعدام البحث اللساني في الوطن العربي، لكن نقصد تعطّل الفكر العربي على إضفاء الوعي اللساني في مجالسنا العلمية على دراسة اللغة والأدب"10.

وما يثبت كذلك المرجعية اللسانية العلمية قول الباحث:" من الطبيعي أن نلاحظ مع مرور الوقت أنّه لا جدوى من الاستغناء عن المنهج اللساني؛ فقد بذل الباحث طاقة جهده داعياً في ذلك التمسك بالعلوم اللغوية القائمة على الوصف والاختبار واستقراء الظواهر وصولا بها إلى الاستنتاج بعيداً عن المواقف المعيارية والتقييم وإصدار الأحكام؛ فليست هناك حقائق مطلقة تقرّ بالخطأ والصواب، ولكن ثمّة المنهج التجريبي الذي ينطلق من السبب إلى النتيجة"11.

والواقع أنّ المرجعية النقدية هي مرجعية تعتمد على أسس علمية، وما يؤكد مرجعية المسدي اللسانية قول "مرابطي نسيم": "لذلك سنهتم بمسار النظرية النقدية لهذا الباحث انطلاقا من ممارسة مكثفة شملت حقبا أدبية عديدة ابتداء من منهجيته اللسانية "12، وهذا كاف لنقول إن مرجعية المسدي لسانية في قوامها.

2-الوعي بالمنهج الأسلوبي:

يثبت المسدي حسب رأي "عبد القادر المهيري" وكذلك "نسيم مرابطي" أن الأسلوبية ترتكز على أسس علمية، وهذا دليل على وعيه بالمنهج الأسلوبي"، حيث نجد في المقدمة التي وضعها (عبد القادر المهيري) لكتاب (عبد السلام المسدي) (الأسلوبية والأسلوب) إلى أن مناهج البحث الحديثة الموصولة بعلم اللغة أو المشتقة منها اكتسبت كثيرا من الصرامة العلمية، وتجنبت النزعات الذاتية والذوقية، إذ لم يعدّ في وسع الدارس تجاهلها أو الاستغناء عنها، لكن ينبّه في نفس الوقت إلى أن وجود هذه المناهج لا يجدي ولا يؤتى ثماره ونتائجه المرجوة ما لم يحذر القارئ بعض المزالق"13.

ويظهر "المسدي"علمية المناهج النقدية من خلال الأسس العلمية، كما أن الدراسات الأسلوبية التي قام بها يصبغها الطابع التعليمي العلمي، ودليل ذلك تعريفه للقارئ العربي بالنظريات الحديثة الناشئة من الاتصال بالفكر النقدي الغربي، وذلك بهضم المفاهيم وعرضها والبحث في مرتكزاتها وأصولها المعرفية والعميقة "14.

استند المسدي أيضا كما أسلفنا على الفكر والنظريات النقدية الغربية (المرجعية الغربية)، كما ركز على المنهج العلمي بالخروج من طور الحقيقة الذاتية إلى طور الحقيقة العلمية على حد تعبيره معتمدا في ذلك على التجربة في الكشف على المعارف بالاستقراء ورصد النتائج انطلاقا من مبدأ الشك ونسبية التسليم بالحقائق ورفض المسلمات للوصول إلى ما تصح البرهنة عليه كليا، وانطلاقا من الإطار الشامل لنظرية الانتهاء إلى العالم الأصغر، وهو الخطاب النصي المتداول. وبالتالي تكون هذه السبل العلمية هي التي يتحدد على إثرها الأسلوب. وهي التي تشكّل المقومات الأساسية للدراسات الأسلوبية لتحقيق الجوهر النقدي"15، وهذا يثبت مرجعيته العلمية كذلك.

3-المصطلح النقدي عند المسدي:

لا شك أن توارد وكثرة مناهل الأسلوبية واللسانيات واتساع مصادرهما من التراث والحداثة، جعل المصطلح النقدي عند عبد السلام المسدي غزيرا وكثيفا، وذا دلالات وحمولات خاصة؛ بل ذا مسؤولية وحساسية كونه يعتبر مرجعا في المصطلحية العربية من خلال كتابة المصطلح والمصطلحية، وشرح للمصطلحات الأسلوبية واللسانية في كثير من مؤلفاته. كل هذا طبعا، يؤكد ويثبت ما نلحظه من كثافة مصطلحية في نقد المسدي، بل ربما تأسيس مصطلحية خاصة بالنقد في جانبه الحداثي من أهداف مشروع المسدي حين يربط بين مصطلحات العلاقة الثلاثية، لسانيات، أسلوبية، نقد، ف"المصطلح فيوضع ويبث ثم يقذف به في حلبة الاستعمال، فإماّ أن يروّج فيبث، وإماّ أن يكسد فيختفي. وقد يدلي بمصطلحين أو أكثر لمتصوّر واحد، فتتسابق المصطلحات الموضوعة وتتنافس في سوق الرواج، ثمّ يحكم التداول للأقوى فيستبقه ويتوارى الأضعف"16، ويبقى الرواج والإشهار هو الحَكَم".

4-الثوابت المعرفية:

إنّ تحديد الثوابت المعرفية عند الباحث يستدعي الكشف عن طبيعة القاعدة النظرية المنطلق منها في تحديد الآليات التي تتولد على أساسها المصطلحات"17، وهذه القاعدة النظرية هي اللسان العربي، و"هي اللسان العربي في مقامنا مماّ يؤثر بشكل حاسم في آليات توليد المصطلحات ضمنها ولاسيما عندما تظهر الحاجة إلى وضع ألفاظ عربية انطلاقا من مصطلحات أجنبية هي في معظمها تأتينا اليوم مسبوكة في لغات منحدرة جميعاً من فصيلة غير الفصيلة التي ينتمي إليها اللسان العربي"18. وقد وجد ذلك في مجامع اللغة "وقد يكون كتاب عبد السلام المسدي (المصطلح النقدي) 1994-استثناء في هذا المجال؛ إذ يشكل تأسيساً معرفياً (لغوياً ونقدياً) حقيقياً لعلم المصطلح النقدي يحيط بالقضية من مختلف أركانها، ويفجّر الإشكالية من بؤرها المركزية. ورغم أنّ حجمه الصغير لا يتعدى 136 صفحة من الحجم الصغير، إلا أنّ كثيرا ما يضيق عن محموله المعرفي"19.

5-عقبات البحث اللساني العربي وأثرها في النقد:

إنّ أول عقبة يشير إليها المسدي في مسيرة البحث اللساني وسيرورته إلى التطور، هو نظرة القداسة إلى علوم اللغة العربية، وهي نظرة الكمال والاكتمال" وأول ما قد يلوح لنا عائقا أمام نهضة الإشعاع اللساني في الوطن العربي سبب غريب الشأن يكاد ينطق بالتناقض، ألا وهو اكتمال علوم اللغة عند العرب"20. وقد أصبح لهم نظرة خاصة لعلومهم وواقعا حضاريا معرفيا مقدسا"، فعن هذا الواقع الحضاري المعرفي نشأت لدى العربيّ رؤية من القداسة تجاه لغته النوعية وتجاه عملية درس اللغة ذاتها كما نشأ سياج من المحظورات ترسخت بموجبه عقد الاستغناء، فكأنما حال العربي اليوم تقول: أفإنْ رضينا أن نلتجئ إلى غيرنا في علوم الطبيعة وصناعة الطب وأسرار الفضاء أَفَيَليقُ أن نتتلمذ أيضا في علوم اللغة على من سوانا ؟"21.

أما العائق الثاني الذي واجه البحث اللساني العربي هو حصر اللسانيات في علم الصوتيات، "ويتمثل العائق الثاني في أنّ كثيرا من رجال ورواد الفكر وركائز الجامعات، ظلّ تصورهم للسانيات محصوراً كلياً أو جزئياً في حقل الصوتيات، وعلم الأصوات بمختلف فروعه: التشريحية منها والتعاملية والوظائفية...ولقد صادف أنّ جانب الأصوات قد كان من أدق ما ضبطه العرب في علومهم اللغوية... فإن الرأي الما- قبليّ قد تدعم لدى العربي إجمالاً وتخميناً بما يوحى له بالكفاف والغناء عن اللسانيات"22.

كما أشار المسدي إلى عوائق واجهت اللسانيات العربية"، ومن أخطر ما عاقه ازدهار الوعي اللساني في أوساطنا العلمية معركة الوصفية والمعيارية في المعرفة اللغوية... واللسانيات تنبذ فعلاً كل موقف معياري من اللغة؛ فهي تمسك عن إصدار الأحكام وعن التقييم سواء ما كان منه في ذلك مدحاً أو تهجينا، لأنها لا تستند إلى تصنيفات الخطأ والصواب ولا إلى مقولة الحُسْن والقبيح، لذلك قام المنهج اللساني على الوصف والمعاينة، وهو بذلك اختباري يتبع الأجزاء استقراء ويصعد منها إلى الخصوصية الجامعة استنتاجاً"23تعتبر العوائق التي واجهت تطور البحث اللساني العربي من أهم عقبات الرؤية النقدية.

ثانيا: الرؤية الأسلوبية للنقد عند عبد السلام المسدي من خلال كتاب "النقد والحداثة"

تعرض الناقد "عبد السلام المسدي" إلى المنهج الأسلوبي في هذه المدونة النقدية يقينا منه بأهميته وقيمته في بناء المعايير النقدية للنصوص. وقد بين الهدف من مدونته هذه قائلا: "هذا كتاب مبتغاه أن يعرض بين يديك منهجا يزيح الحواجز العائقات سواءً ما قام منها قسرا بين الأدب والنقد، أو ما تظلم على الفن القولي فشيد سياجا يعزل الشعر عن النثر أو ما أقيم منها تعسفا واصطناعا بين التنظير والمعالجات"24. وحتما هذا

ملمحه الذي به إلى المنهج الأسلوبي والذي اتضح جليا حين تطرق إلى شرح بعض آلياته. وقد استهل الحديث في هذا المبحث بتعريف الأسلوب ثم الأسلوبية كفن أدبي وممارسة إجرائية نقدية. ونذكر بعض الأسس التي اعتمدها المسدي في منظوره النقدي والتي لها صلة واضحة المعالم بالجوانب والخصائص الأسلوبية ومنها:

نمطية الخطاب الأدبي من خلال الأسلوب:

كثيرا ما أرقت وتؤرق تصنيفات واعتبارات النصوص والخطابات وفق معيار الأدبية والفنية، والتي تستدعي قراءة نقدية تختلف عن تلك النصوص والخطابات ذات البعد السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي، والتي تحتاج إلى مناهج ورؤى نقدية مغايرة. ولعل هذا المنطور إنما هو منظور فني وأدبي، ويفضي إلى تقسيمات صائبة ودقيقة من حيث تصنيف النصوص والآثار والمؤلفات، غير أن هذا التقسيم قد يفقد معياريته وثباته إذا ما تعلق الأمر باختيار المنهج الأمثل في قراءة النص، لتكون الأسلوبية هي المنهج الجامع والمانع والكفيل بذلك، لهذا عرض الناقد"عبد السلام المسدي" نقاط قوة الأسلوبية التي تؤهلها للنقد الأدبي.

وقد أوجز السر في هذا ب" أن مدلول الأسلوب ينحصر في الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيز الموجود اللغوي، فالأسلوب هو الاستعمال ذاته، فكأن اللغة مجموعة شحنات معزولة، والأسلوب هو إدخال بعضها في تفاعل مع البعض الآخر كما لو كان ذلك في مخبر كيمياوي"25، ليتبين من هذا فوارق اللغة والأسلوب؛ فالأولى تقنين والثانية تفعيل وممارسة، ثم يعطي مفهوما آخرا لهذه الآلية "إن ماهية الأسلوب أن يكون اعتدالا وتوازيا بين ذاتية التجربة ومقتضيات التواصل، فيكون حلا وسطا بين الحدث الفردي والشعور الجماعي، أو هو تجربة الاعتدال بين الأنا والجماعة سواء أكانت هذه الجماعة "هم" أم "نحن" أم "أنتم" فتكون وظيفة الأسلوب هي أن يلطف من حدة الانزياح بين المعطى المعيش والمعطى المنقول"26.

فالأسلوب وفق هذا الاعتبار هو مزيج بين ذاتية الإنسان والجماعة من خلال المجتمع، إذ يشرحه الباحث بيفون: "كل أسلوب هو صورة خاصة بصاحبه، تبين طريقة تفكيره وكيفية نظره إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته"27، وكذلك: "الأسلوب هو الرجل أو هو الشخص ذاته". كما أن الأسلوب هو "حصيلة ردود فعل القارئ في استجابته لمنبهات النص"28ويضيف في شأنه عبد السلام المسدي: "الأسلوب هو اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميز بنفسه، وهذا معناه أن الأسلوب رسالة أنشأتها شبكة من التوزيع قائمة على مبدأ الاحتمال والتوقع"29؛ الأسلوب اختيار، أما الأسلوبية فهي "علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميزة التي بها يستطيع المؤلف الباث مراقبة حرية الإدراك لدى القارئ المتقبل والتي بها يستطيع أيضا أن يفرض على المتقبل وجهة نظره في الفهم والإدراك.

فالأسلوبية بهذا الاعتبار علم لغوي بمعنى ظاهرة حمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصوص"30. أما عن مهمة الأسلوبية ضمن نمطية الخطاب الأدبي؛ فهي تقوم ب"تتبع بصمات الشحن في الخطاب عامة أو ما يسميه اللغويون بالتشويه الذي يصيب الكلام والذي يحاول المتكلم أن يصيب به سامعه في ضرب من العدوى"31، فهي تهتم بالجانب البلاغي "الانزياح" أو ما يسميه بالتشويه.

يبدو جليا أن الأسلوبية هي نمط لغوي يميز جميع الخطابات والنصوص؛ بل هي التي تحدد تصنيفاتها واختلافاتها، لذا فإن قراءة العمل الأدبي في إطار المسعى النقدي يحتاج إلى هذه الأسس التي مصدرها المنهج الأسلوبي، والتي حددها عبد السلام المسدي ثم بيّن بعضا من خصائصها.

2- تعدد الأسلوبيات:

عند قراءتنا السطحية للأسلوبية في نص أو خطاب ما نتوقف عندها مفهومها الكلي بأنها السمات الشكلية والظاهرة واللغوية المكونة لأي خطاب، لكن حينما نتتبع المرتكزات والأسس الأسلوبية التي اعتمد عليها المسدي والتي تفيد الدرس النقدي، نجدها أكثر من أسلوبية واحدة وقد سماها بعلم الأسلوب التطبيقي: وهي كثيرة نذكر منها الآتي على سبيل الحصر لا:

أ-أسلوبية السياق (أسلوبية التحليل الأصغر/أسلوبية الوقائع)؛ ويدخل في هذا الاعتبار جميع ما يؤثر في أسلوبية النص من حيثيات خارجية سياقية تتعلم بالزمان أو المكان أو حتى ظروف ميلاد المص والحالات النفسية والسياقات الثقافية المصاحبة له، فتلك أسلوبية دقيقة كان النقاد يعالجونها في مباحث ومناهج معزولة، لكن ما أفاد به عبد السلام المسدي أنها تابعة للمنهج الأسلوبي لما تحدثه من أثر في قراءة الأسلوب.

ب -أسلوبية الأثر (أسلوبية التحليل الأكبر/أسلوبية الظواهر)، قد يمكننا وصف الأسلوبية السابقة بالأسلوبية الخارجية نظرا لتعاملها مع السياق، لكن ثمة أسلوبية أخرى سماها الناقد المسدي بأسلوبية

ج-أسلوبية النماذج (أسلوبية النص) "أسلوبية النماذج حيث تقوم معدلا تطبيقيا بين أسلوبية الوقائع وأسلوبية الظواهر فتكون بذلك أسلوبية النص..."32

3- التضافر الأسلوبي ونقد إبداعية الشعر

يتّضح التّضافر بمساعدة أنماط كل من نمط التّفاصيل، نمط التداخل، نمط التراك. وهو ويرتكز خاصة على نمط التداخل، و"نمط التداخل فيه تتوارد الأجزاء في تواتر دوري؛ بحيث يمتزج البعض ببعض الكلام الآخر، فلا يعيد لك السياق صورة مطابقة لما ورد في السياق الذي قبله، ولكنه يعيد لك منه ما يمزجه مع مكونات جديدة فيحصل من المعاد ومن المستجد تركيب طارئ يلتحم بالسياق العام عن طريق البعض المتواتر وينفصم عنه مستقلا بذاته بفضل الجزء المستحدث"33، فالتضافر هو "أن تنتظم العناصر انتظاما مخصوصا يسمح باستكشافها طبق معايير مختلفة؛ حيث كلّما تنوعت مقاييس الاستكشاف حافظت العناصر على مبدأ التداخل"34. وللتضافر أنواع هي: تضافر البنى النحوية، تضافر الأبنية التركيبية.

أ- تضافر المفاصل: وهو "تشابك مواطن الانتقال من شحنة إخبارية إلى أخرى"35، تضافر المفاصل أو كما سماه بتضافر الأغراض. ويكون هذا التضافر بين سلسلة من الكلام ذات طبيعة إخبارية لتفيد معاني متدرجة، كما أن هذا التضافر أقرب للظاهرة البلاغية قصر الفواصل في الكلام.

ب- تضافر المضامين: هناك ثلاثة مضامين(محاور/دلالات) للخطاب الشعري مثلا "ولد الهدى": دلالات تتصل بالرسول- ﷺ، وأخرى تتصل بالدين الإسلامي، وثالثة بالأمة الإسلامية (المسلمين)، وقد حدد الناقد "عبد السلام المسدي" المرسل والمرسل إليه في الجهاز الشعري والمرجعي والمفهومي.

ج- تضافر القنوات: يقول المسدي شارحا هذا التضافر: "ونعني بها مجاري الأداء الإبلاغي مما يتخذه الشاعر مرتكزا حواريا يصطنع به التواصل حيث لا تواصل"36.

د- تضافر الحروف والضمائر: لو نستشهد لوجدنا عدد أبيات قصيدة "ولد الهدى" 131بيتا، فهناك تشابك وتضافر للضمائر، وهو صورة من صور تضافر القنوات (هو/أنت37)، كما أن هذا التضافر يظهر بين الحروف فمثلا البيتين السابع والثامن:

اسم الجلالة في بديع حروفه ألف هنالك واسم (طه) الباء38

يا خير من جاء الوجود تحية من مرسلين إلى الهدى جاؤوا

يبرز المسدي التعانق (التضافر) قائلا: "إنّ هذا التعانق اللغوي قد زكاه حصول ائتلاف مزدوج بين هاء (حروفه وهاء (طه)، ثم بين كاف المخاطب في (بك) وكاف الظرف في (هنالك)؛ إذ تعود عليها كالرجع أو الصدى. ومن حيث يقفو فعل (جاؤوا) أثر نفسه في مطلع البيت (جاء) يتوسط لفظ (الوجود) ظرفيهما في نغم إيقاعي متضافر الصوت هو الآخر"39. ومن صور هذا التضافر انتقال الشاعر من ضمير المخاطب إلى الغائب، وهذا ما يسمى بالالتفات، ذلك المصطلح النقدي الذي شاع في النقد العربي القديم، وأصبح تحت مسمى الانزياح في النقد المعاصر.

وبدا محياك الذي قسمات حق وغرته هدى وحياء

وعليه من نور النبوة رونق ومن الخليل وهديه سيماء40

ويظهر هذا النوع من التضافر في البيتين

رقدوا وغرهم نعيم باطل ونعيم قوم في القيود بلاء

ظلموا شريعتك التي نلنا بها ما لم ينل في رومة الفقهاء41

وقد ظهر النمط الثالث (تضافر القنوات) في المقارنة العددية حيث وجد 41 بيتا تتصل بالضمير الغائب وما تبقى من أبيات القصيدة يتصل بالمخاطب، تراوح بين الضميرين (هو/أنت)

د- تضافر البنى النحوية (تضافر الأبنية التركيبية):

هذا التضافر يكون بين جملتين (جملة الشرط وجملة جواب الشرط) أو كما سمى الجملة الثانية بجواب الظرف ومجالها بين الأبيات 30 40

ارتبطت ب(إذا-الواو-الفعل) نحو: وإذا صخوت، وإذا عفوت، وإذا رحمت...

- ومن الأمثلة ذكر الكثير نذكر واحدا مما قال:

وإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لا تفعل الأنواء42.

"فجواب الظرف، قد جاء مزدوجا بالتوازي: جملة فعلية بسيطة هي (بلغت بالجود المدى) عطفت عليها جملة فعلية. مركبة إذا انطوت على جملة موصولة قامت بوظيفة المفعول به (وفعلت مالا تفعل الأنواء)"43. كما أشار كذلك إلى الجملة الحالية في عجز البيت:

وإذا رضيت فذاك في مرضاته ورضى الكثير تحلم ورياء44

خاتمة: من خلال هذه الورقة البحثية، يتّضح بجلاء جهود الناقد عبد السلام المسدي في إثراء وتجهيز الدرس اللساني العربي بأسس ومعايير نقدية مستمدة من اللّسانيات ومقننة ضمن علم الأسلوبية، وقد بدا هذا من خلال مدونة الدراسة "النقد والحداثة"، ويمكننا استخلاص النّتائج الآتية:

- عبد السلام المسدي ناقد عربي بامتياز، له الفضل في ربط النقد العربي الحديث بعلم الأسلوبية والنظريات اللسانية وخاصة لسانيات النص.

- جمعت المرجعية النقدية للناقد"عبد السلام المسدي" بين الأصالة من التراث العربي من خلال بعض مباحث النحو والبلاغة وبين الحداثة وروح العصر من خلال اللسانيات الغربية وعلم الأسلوبية.

- مدونة النقد والحداثة للناقد المسدي هي رابط بين تخصصات وفروع يتأسس منها النقد، بل تعدّ وسائل خصبة يكتسب منها منهجية في قراءة النصوص وتحليل الخطابات مهما اختلفت أصنافها ومشاربها.

- يسعى الناقد عبد السلام من خلال هذه الجهود على غرار كثير من العلوم جعل النقد العربي مؤسسا وفق معيارية وقواعد، وهذا دأب كثير من تخصصات العلوم الإنسانية التي تحاول النزوع نحو الدقة والشمولية والموضوعية.

توقف عبد السلام المسدي على ظواهر أسلوبية كثيرة مستقاة من اللسانيات ليفيد بها النحو؛ ومنها ظاهرة التضافر كمثال ونموذج على تلكم الظواهر.

- جدير بالإقرار أن عبد السلام المسدي بارع وفذّ ومثال يحتذى به في هذا المجال، لكن من الإنصاف والموضوعية أن لا ننسى جهود غيره كالدكتور عبد الجليل مرتاض ونور الدين السدّ وغيرهم من النقاد واللغويين المحدثين.

هوامش وإحالات المقال

1- إدريس بن فرحات، المرجعية المحددة للآراء النقدية في القضايا المتعلقة بالنقد عند عبد السلام المسدي في كتاب (الأدب وخطاب النقد)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة. (الجزائر).

2- عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، (1994)، دار الجنوب للنشر، (تونس)، دط، ص60.

3- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، (2010)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، (لبنان)، ط1، ص10.

4-عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، (1986)، الدار العربية للكتاب، ط2، ص09.

5- عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، (2004)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، (لبنان)، ط1، ص 67.

6- إدريس بن فرحات، المرجعية المحددة للآراء النقدية في القضايا المتعلقة بالنقد عند عبد السلام المسدي في كتاب (الأدب وخطاب النقد)، ص05.

7- عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، ص07.

8- إدريس بن فرحات، المرجعية المحددة للآراء النقدية في القضايا المتعلقة بالنقد عند عبد السلام المسدي في كتاب (الأدب وخطاب النقد)، ص06.

9- المرجع نفسه، ص07.

10- برابطي نسيم، مسار النظرية النقدية عند عبد السلام المسدي، (2010)، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2010، ص11.

11- المرجع نفسه، ص 11.

12- المرجع نفسه، ص 12.

13- المرجع نفسه، ص 30.

14- المرجع نفسه، ص 45.

15- المرجع نفسه، ص45.

16- المرجع نفسه، 129 نقلا عن المسدي، المصطلح النقدي، ص14.

17 المرجع نفسه، ص 128.

18- المرجع نفسه، ص130 نقلا عن المسدي المصطلح النقدي، ص 15..

19- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، (2008)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، ص13.

20- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، (1986)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1 ، ص12.

21- المرجع نفسه، ص13

22- المرجع نفسه، ص13.

23- المرجع نفسه، ص13.

24- عبد السلام المسدي، مدونة النقد والحداثة؛ مع دليل بيليوغرافي، (2012)، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت)، ط1، ص05.

25-المرجع نفسه، ص44.

26-المرجع نفسه، ص55.

27-المرجع نفسه، ص55.

28- المرجع نفسه، ص57.

29-المرجع نفسه، ص58.

30- المرجع نفسه، ص52.

31-المرجع نفسه،54/53.

32-المرجع نفسه، ص77.

33-المرجع نفسه، ص77.

34-المرجع نفسه، ص78.

35-المرجع نفسه، ص79.

36-المرجع نفسه، ص81.

37- المرجع نفسه، ص82.

38- أحمد شوقي، الشوقيات، (2012)، مؤسسة هنداوي، دط، ص41.

39- عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، ص84/83.

40- أحمد شوقي، الشوقيات، ص41، 42.

41- المصدر نفسه، ص46.

42- المصدر نفسه، ص42.

43- عبد السلام المسدي، ص95.

44- أحمد شوقي، ديوان الشوقيات، ص42.

قائمة المراجع:

1. أحمد شوقي، الشوقيات، (2012)، مؤسسة هنداوي، دط.
2. إدريس بن فرحات، المرجعية المحددة للآراء النقدية في القضايا المتعلقة بالنقد عند عبد السلام المسدي في كتاب (الأدب وخطاب النقد).
3. برابطي نسيم، مسار النظرية النقدية عند عبد السلام المسدي، (2010)، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2010.
4. عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، (2004)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، (لبنان)، ط1.
5. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، (1986)، الدار العربية، ط2،

6. عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، (1986)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1
7. عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، (1994)، دار الجنوب للنشر، (تونس)، دط.
8. عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، (2010)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، (لبنان)، ط1.
9. عبد السلام المسدي، مدونة النقد والحداثة؛ مع دليل بيليوغرافي، (2012)، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت)، ط1.
10. يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، (2008)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1.
11. إدريس بن فرحات، المرجعية المحددة للآراء النقدية في القضايا المتعلقة بالنقد عند عبد السلام المسدي في كتاب (الأدب وخطاب النقد)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة. (الجزائر).